العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"أثر الأحكام الفقهية والقيم الأخلاقية في الحفاظ على البيئة"

إعداد الباحث:

د. أيمن محمد هاروش

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ملخص الدراسة:

البيئة هبة الله تعالى لعباده، والحفاظ على نقائها وسلامتها واجب ديني وإنساني، وفي ظل الفساد البيئي الذي ازداد في الآونة الأخيرة، يسعى المهتمون لبحث السبل في الحفاظ عليها.

وليس شيء يساعد على الحفاظ عليها من ترسيخ القيم الإيمانية والأخلاقية والتشريعات الفقهية، التي جاء بها الإسلام وتتعلق بالبيئة.

وفي هذا البحث تسليط الضوء على أهمية البيئة، وعناية الإسلام بها، وبيان القيم الأخلاقية الإسلامية والأحكام الفقهية التي تدعو للحفاظ على البيئة، وأثرها في ذلك، ودور المؤسسات التربوية والتعليمية في ترسيخها.

كلمات مفتاحية: بيئة – أخلاق – قيم – حفاظ – إيمان.

مقدمة الدراسة:

فإن الدين الإسلامي شجرة طيبة، أصلها العقيدة السليمة، وفرعها العبادات التي يتقرب بها العبد لربه، وثمرتها الأخلاق، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: 24–25]، ولا شكَّ أن الثمرة هي غاية الشجرة، وإلا فلا نفع من شجرة لم تثمر، والأخلاق هي غاية الغاية، فغاية الخلق هي العبادة { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات: 56]، والغاية من العبادة هي الأخلاق {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21]، لذلك كان حرياً بالمؤمن أن يعتني بها علمًا وعملًا.

وكثير من هذه الأخلاق ما كانت تتَّجه للحفاظ على البيئة، وهي التي وهبها الله للإنسان صالحة نافعة، وغاية هذه الأخلاق أن تنشئ الإنسان الذي يعرف قيمة البيئة ويحافظ عليها طاعة لله وابتغاء مرضاته.

وفي هذه الدراسة بيانٌ لأهمية البيئة في الشريعة، ودور الأخلاق في الحفاظ عليها.

تمهيد: تعريف الأخلاق والبيئة

قبل الولوج في ثنايا البحث، لا بد من التعريف بعنوانه، فهو المبين لوجهة البحث ومقصده.

أولًا: تعريف الأخلاق

1– لغة: جمع مفرده (خُلُق)، بضمَّتين، أو (خُلْق) بضم وسكون[1]، ويُطلق هذا اللفظ بإزاء ثلاثة معاني (الطبع والسجية والدين)[2]، ولعل إطلاقه على الدين من باب المجاز المرسل لعلاقة الحالية؛ لأن الدين هو محل الأخلاق، كقوله تعالى: { فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} [العلق:

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلق)، ج10، ص 85.

[2]– المرجع السابق

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

17]،أي: أهل ناديه، ويبقى المعنيان الحقيقيان له وهما الطبع والسجية، وهما الصفات التي جبل عليها الإنسان[3]، فإن نُظر للخلق على أنه مما طبع عليه الإنسان من أول خلقه، فهو طبع؛ لأن "الطبع ابتداء صفة الشيء، طبع اللَّبِنَ طبعاً والدراهم والسيف صاغه"[4]، وإن نظر إليه على أنه الصفة الثابتة والمستقرة للإنسان فهو سجية؛ لَأَنَّ سجا بمعنى "سكن ودام"[5]، وأصله من مادة خَلَقَ، بمعنى قدَّر، ولما كان خلق الإنسان منه الظاهر وهو الجسد ومنه الباطن وهو النفس، فرق بينهما بأن ما كان للجسد فهو (خَلْق) بالفتح، وما كان للنفس فهو (خُلْق) بضم أو ضمتين، قال ابن منظور: " وحقيقته أَنه لِصورة الإنسان الباطنة وهي نفْسه وأَوصافها ومعانيها المختصةُ بِها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأَوصافها ومعانيها، ولهما أَوصاف حسَنة وقبيحة، والثوابُ والعقاب يتعلّقان بأَوصاف الصورة الباطنة أَكثر مما يتعلقان بأَوصاف الصورة الظاهرة"[6].

وبناء على ما سبق يمكن القول: (الخُلُق هو الصفات التي تتصف بها نفس الإنسان).

2- اصطلاحًا

– عرفه ابن مسكويه بقوله: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:
أ–منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء كأن يغضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله.
ب– ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولًا فأولًا حتى يصير ملكة وخلقا.[7]
– وعرفه الجرجاني بقوله: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا، وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة؛ لَأَنَّ من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال: خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخصٍ خلقه السخاء، ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، لباعث أو رياء[8].
ونلاحظ في التعاريف الأمور التالية:

أ– الخلق صفة للنفس، وهو متفق مع المعنى اللغوي.

ب– صفة ثابتة ومستقرة (راسخة) أي: ليس حالة عرضية، فالصدق خلق لمن اتصف به بشكل دائم، وليس خلق من صدق مرة أو مرتين.

[3]– ابن منظور، لسان العرب،ج8، ص232.
[4]– المرجع السابق
[5]– ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص372.
[6]– ابن منظور ، لسان العرب، ج10، ص85.
[7]– ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص41.
[8]– الجرجاني، التعريفات، ص 101 .

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ج– ليس تكلفًا: أي: يصدر من الإنسان بصورة عفوية وتلقائية (من غير فكر ولا روية)، وأما من تكلف صفة واصطنعها فليست خلقاً له، فمن تكلف الصدق واصطنعه ليس صادقًا.

د– فطري ومكتسب: فقد يكون الخلق صفة جبلية جبل الله الإنسان عليها، وقد يكون صفة اكتسبها بالتربية والرياضة النفسية.

هـ– محمود ومذموم: فقد تكون الصفة ذات آثار محمودة فتسمى خلقًا حميدًا كالصدق، وقد تكون ذات آثار سلبية فتسمى خلقًا مذمومًا كالكذب.

ومن خلال ما سبق وبمراعاة النقاط المتفق عليها في التعريفات أجد تعريف الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني شاملًا ومراعيًا لما سبق، وهو قوله: (الخلق صفة مستقرة في النفس –فطرية أو مكتسبة– ذات آثار محمودة أو مذمومة)[9].

ثانياً: تعريف البيئة

1– لغة

البيئة لغة على وزن الفِعْلة، من الفعل باء،، قال ابن منظور: "والبيئةُ والباءة والمباءة المنزل

وقيل مَنْزِل القوم حيث يتبوؤون من قِبَلِ وادٍ أَو سَنَدِ جَبَلٍ.....وباءَتْ بِبيئةِ سُوءٍ على مِثالِ بِيعةٍ أي: بحالِ سُوءٍ وانه لحَسَنُ البِيئةِ"[10]، وهي تدور حول معنًى واحدٍ وهو المكان الذي ينزل ويحل به الإنسان، ويظهر من كلامه الأخير أنها تأتي بمعنى الهيئة والحالة، ولعل هذا من المجاز المرسل، لَأَنَّ حالة الإنسان وهيئته من مكانه، فإن كان يشعر بمكانه بالأمن والكفاية فستكون حالته حسنة، وكذلك العكس، والله أعلم.

2– اصطلاحًا

عرفتها منظمة اليونسكو بأنها مجموعة الأنظمة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان والعضويات الأخرى والتي يستمد منها عيشه[11].

وعرفها بعضهم بأنها:

- الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقته مع أقرانه من بني البشر[12].

[9]– عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص10.
[10]– ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص36.
[11]– فائزة قاضي وسميرة فلاح، دور المدرسة في المحافظة على البيئة– الجزائر، ص 4.
[12]– رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ص 24.

- "المحيط الذي تعيش فيه مؤلفاً من الأرض وغلافها الجوي وما عليها وما في باطنها[13].
- الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان بما يضمُّ من ظاهرات طبيعية وبشرية ويتأثر بها ويؤثر بها".[14]

والتعريفات تدور حول المعنى اللغوي وهو المكان، محاولة استقصاء ما يوجد فيه من حيوان ونبات وغيرها، وقد تزيد على المعنى اللغوي إدخال العلاقة بين الإنسان وبين مكانه وما يحويه من كائنات من حيث التأثر والتأثير، ومن خلال التعريفات السابقة اللغوية والاصطلاحية يمكن أن نحدد مكونات البيئة، وهي"المكان (الماء– التراب– الهواء– النبات)– الإنسان– الكائنات الحية الأخرى– علاقة الإنسان بباقي العناصر".

لكن حديثاً توسع بعض الكتاب بمفهوم البيئة لتشمل كل ما يختص بالإنسان، فقالوا البيئة الاقتصادية والبيئة السياسية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية، وهذا من باب المجاز المرسل، ولكن المعنى الحقيقي للكلمة هو المكان الجغرافي وما فيه، وهو المعنى الذي سيسير عليه البحث

ثالثًا: علاقة الأخلاق بالبيئة

لو تأملنا مفهومي الأخلاق والبيئة السابقين، لرأينا أن سلوكيات الإنسان الناتجة عن أخلاقه لها دور وأثر كبير في بيئته التي يعيش فيها، لا سيما وأنه المخلوق السيادي في البيئة، وهو الفاعل فيها وما سواه عناصر منفعلة، لذلك فإن أي: سلوك يقوم به الإنسان سينعكس على بيئته سلباً أو إيجاباً، ومن هنا تظهر أهمية بحث علاقة الأخلاق بالبيئة، وضرورة توجيهها نحو الإيجابية، واعتماد أفضل منهج خلقي يحافظ على البيئة، وهو ما يدور عليه البحث.

المبحث الأول: فساد البيئة

لقد منحنا الله تعالى البيئة تحقق لنا سلامتنا وسعادتنا، {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن: 10]، وأقامها على نظام يكفل لها صلاحها ونفعها {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ } [الحجر: 19]، لكن سرعان ما تخللها الفساد { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41]، فكيف فسدت البيئة؟ ومن المسؤول؟ ولماذا؟

أولًا: تعريف الفساد

لم أجد فيما رجعت إليه من معاجم اللغة تعريفاً للفساد، سوى ذكر نقيضه، وهذه آفة المعاجم، تفسر الكلمة بذكر عكسها، ولا تبين ماهيتها في مواضع كثيرة، فابن منظور مثلاً يقول: (الفسادُ نقيض الصلاح)[15]، ولكن ربما الجرجاني بين ماهيته بقوله: (الفساد: زوال

[13] – عدنان صادق الضاهر، أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، ص 4.
[14] – المرجع السابق
[15] – ابن منظور – لسان العرب،ج3، ص335.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة)[16]، ويمكن القول من خلال كلام الجرجاني والتأمل بكلام أهل اللغة: إن الفساد هو : ((خروج الشيء عن حد الصحة والاعتدال، وفقده لخواصه وماهيته))، ففساد الطعام خروجه عن حد اللذة في الطعم والفائدة للجسد، وفساد العين خروجها عن حد العافية وفقدها الرؤية، وهكذا.

وهنا فساد البيئة معناها: ((خروج البيئة – الأرض وما فيها– عن حد الصحة وفقدها لنفعها وفائدتها))، فالماء يتعكر ولا يحقق ريًّا وعافية، والهواء يتلوث ولا ينعش الجسم، والنبات يتلوث ويعطي الأمراض وهكذا، ففساد البيئة انتكاسها وتحولها لمصدر خطر على حياة الإنسان بدلا من أن تكون مصدر عافية وخير.

ثانيًا: البيئة خلقها الله صالحة

إن الله سبحانه وتعالى خلق البيئة بما فيها من مكونات صالحة خالية من الفساد، ومعنى كونها صالحة أنها تقدم النفع والخير للإنسان، وليست مصدر ضرر له أو خطر عليه، وذلك بما أقامها الله عليه من قوانين، قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: 56]، فيمكن أن نفهم من الآية أن الله أقام الأرض على الصلاح فلا تفسدوها أنتم بأعمالكم، ولو تأملنا الآيات التي تبين أن الأرض بصفة عامة جعلها الله للإنسان كقوله: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية: 13] ، {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى } [طه: 53]، ندرك تماماً أن البيئة كلها ولدت طيبة وتُحقق نفعَ الإنسان وخيرَه، وليس فيها ما هو موضع ضرر عليه، وأحياناً تفصل الآيات وتخصص كقوله تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } [إبراهيم: 32، 33]،{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 14]، { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } [النحل: 5] { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأنعام: 97].

إن هذه الآيات غيض من فيض التي تبين أن الماء خلق نافعاً للإنسان يشرب منه ويروي زرعه، وأن البحر خلق نافعًا للإنسان يأخذ منه حلية وطعاماً ويسير عليه بالسفن ليقضي حاجاته، وأن الأنعام خلقت نافعة للإنسان يأكل لحمها ويشرب لبنها ويتخذ من صوفها لباسًا ومن جلدها بيوتًا، والثمار والزرع كله خلق نافعاً للإنسان يأكل منه بل والكواكب خلقت للإنسان يهتدي بها، فالبيئة كلها بمائها وهوائها وحيوانها ونباتها وبرها وبحرها خلقت صالحة نافعة، وهذا كله لدقة صنع الحكيم الذي أقام البيئة على قوانين ناظمة وقدرها بالشكل الذي تكون فيه نافعة صالحة، قال سبحانه: { وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر: 19]، فالآية تصور خلق الله للنباتات وكأنه وفق منهج محدد وخطة محكمة، لا يزيد عليها ولا ينقص، ليبقى هناك توازن في البيئة، وكل هذا بتقدير من الله تعالى، كما قال: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ } [الحجر: 21]، {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون: 18]، فكل ما في البيئة من نبات وماء مخلوق بقدر معين فلو زاد عنه أو نقص لأضر، فلو أن ماء السماء نزل بكميات أكبر من ذلك لأغرق الأرض وأهلك النبات ودمر البيوت، ولو كان أقل من

[16]– الجرجاني، التعريفات، ص 166.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ذلك لوقعت الناس في مجاعة نتيجة قلة النبات والتصحر والظمأ، فسبحانه جعله بقدر يحفظ الحياة على نسق معين، ومثله النباتات ومثله الحيوانات، لذا قال في آية أخرى {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2]، فكل شيء مخلوق بقدر معين وموزونٍ محكمٍ.

هذه القوانين الإلهية هي التي تحقق التوازن البيئي وتحافظ على صلاحها، ولكن الأمر لم يبق كذلك، فنرى ما خلق صالحاً للإنسان أصبح مصدر ضرر له في كثير من الأحيان، والتوازن البيئي أصابه الخلل حتى وقعت البشرية في كوارث ومحن نتيجة هذا، فمن أين دخل الخلل؟ ومن المسئول؟

ثالثًا: الإنسان مصدر الفساد

إن المصدر الذي ينتج عنه فساد البيئة ويهدم صلاحها، ويحدث الخلل في توازنها هو الإنسان، بما يحدثه من سلوكيات سلبية فيها، وهذه الحقيقة عبر عنها القرآن بوضوح فقال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41]، فتبين الآية أن الفساد طارئ على البيئة وليس من أصلها (ظهر الفساد)، وتبين أن السبب هو الإنسان بسبب كسبه وسعيه السيِّئ (بما كسبت أيدي الناس)، وتبين الغاية وهي أنه عقوبة للإنسان على ما قدم (ليذيقهم بعض الذي عملوا)، وتبين الحكمة حتى يعودوا لرشدهم ويتوبوا إلى الله (لعلهم يرجعون).

وحول هذه الآية يقول ابن كثير: (ظهر الفساد في البر والبحر: أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي، وقال أبو العالية: مَنْ عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة)[17]؛ ويقول الشيخ السعدي: (استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها، هذه المذكورة (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمره، فسبحان من أنعم ببلائه، وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)[18].

ولما كان الإنسان مصدر الفساد أمره الله تعالى وحذره من الوقوع به، {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 56] ، وبيَّن سبحانه أنه لا يحب الفساد ولا المفسدين، قال تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: 205]، {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: 64]، وبين أن الفساد صفة الكفرة والمتكبرين على حدود الله {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ } [البقرة: 204، 205]، وانظر خطورة الإنسان على البيئة فهو يفسد المزروعات كلها، والثروة الحيوانية، ويتعدى ضرره للإنسان، وهذا نص دقيق في وصف خطورة الإنسان المفسد، ولهذا كان من أركان دعوة الرسل لقومهم أن يحذروهم من اتباع المفسدين، { وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ } [الشعراء: 151]، فمن خلال هذا النصوص يظهر أن الإنسان هو مصدر الفساد في البيئة، والواقع يشهد بذلك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، عندما امتدت يد الإنسان إلى الأنهار وجعلت منها مرمى نفايتها لوثت ماءها، وعندما امتدت إلى الأشجار فاقتلعتها أفسدت الجو بارتفاع حرارته، وعندما بدأ يخترع المبيدات أفسد التربة والنبات، وعندما كثرت

[17]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص319.

[18]– عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص643.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المصانع أفسد الهواء، وعندما اخترع الذبح بالصعق أفسد اللحم، وقس على ذلك، فهي يد الإنسان التي أفسدت البيئة، بل وأفسدت الحياة الأخلاقية بنشر الفحش والتعري، والحياة الدينية بالتحريف والتبديل للوحي.

ولكن ما الذي جعل الإنسان يفسد في الأرض؟ ويحيل صلاحها تلوثاً ونفعها ضرراً؟ إنه سوء استعماله للخلافة التي منحه الله إياها في الأرض، كما سيتضح لاحقًا.

رابعًا: كفر الإنسان سبب إفساده

الإنسان هو المخلوق الذي كرمه الله تعالى على سائر المخلوقات، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70]، ومن أوجه التكريم للإنسان أنه منحه سيادة الكون فهو المخلوق الممكَّن من التأثير فيه، وهذا من لوازم حمل الرسالة والتكليف، وهذه السيادة عبر عنها ربنا بالتمكين تارة كما في قوله: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ } [الأعراف: 10]، يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: (أي: هيأناها لكم، بحيث تتمكنون من البناء عليها وحرثها، ووجوه الانتفاع بها)[19]،وتارة بالاستعمار كقوله: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: 61]، يقول ابن كثير: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) أي: جعلكم عُمَّاراً تعمرونها وتستغلونها)[20]، ويقول الشيخ السعدي: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها)[21]، وتارة يعبر بالخلافة كقوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30]، والمعنى واحد وإن تعددت المسميات والتعابير، وهو أن الإنسان سيد المخلوقات في هذه المعمورة، وهو المخلوق الوحيد القادر على التأثير فيها بما مكنه الله من عقل وعلم وقوة وذلل له الأرض والمخلوقات.

وحتى تكون سيادة الإنسان واستعماره للأرض صالحًا ونافعًا، ويحافظ على صلاحية الأرض أنزل عليه هدى، هو منهج سيره في هذه الحياة، إن اتبعه عاش سعيداً وسعدت معه المخلوقات كلها، وإن تركه وهجره شقي وشقيت الأرض معه، قال تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 123، 124]، فالسعادة باتباع منهج الله تعالى والشقاء بتركها، فالبيئة تتأثر بحسب التزامه بهدي الله تعالى، فإن أحسن حسنت لأمرين:

1- لأنه سيسير معها على المنهج الذي يحافظ على توازنها وصلاحها.

2- لأن الله سيزيده من البركة والخير لطاعته، فتنمو بيئته وتزدهر، كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأعراف: 96]، { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ } [هود: 52]، {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح:10، 11، 12] ، فعندما يتقي العبد ربه، ينزل الغيث وتزدهر الأرض ويكثر النبات، فيرتع الحيوان ويطيب الهواء وتصبح البيئة جنة، ويؤيده ما جاء في الحديث الطويل حول علامات

[19]– السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص 284.
[20]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص331.
[21]– السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص384.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الساعة وذكر فيه نزول عيسى وحكمه بالإسلام فقال: ((فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ))[22].

وإن أساء السير على نهج الله تعالى، ساءت البلاد والعباد، وشقيت البيئة كلها، وذلك لأمرين أيضًا:

1- لأنه إن هجر منهج الله تعالى فيستخذ منهجاً من صنع البشر وأهوائهم وجهلهم، فيغير موازين البيئة، ويحدث الخلل فيها، فتفسد وتتضرر كما هو ملاحظ اليوم.

2- لأن الله سيعاقبه على كفره وضلاله بمحق الخير وانعدام البركة، فتقل الأمطار وتجف الأرض وتموت المزروعات وتتأثر الثروة الحيوانية بذلك، فتصبح البيئة في خطر من عقوبة الله للعباد، كما قال تعالى عن قوم موسى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ} [الأعراف: 133]، وعن سبأ {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} [سبأ: 16]، والآيات في هذا الموضوع كثيرة، ويؤيد ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم))[23]، فالفاحشة تسبب الطاعون والأمراض والتي تنتج من فساد البيئة بلا شك، والغش في البيع يثمر شدة المؤنة والسنين أي: أيام المجاعات وهي نتيجة قلة الأرزاق من ضعف المواسم ومحق الخير، ومنع الزكاة يسبب قلة المطر وما ينتج عنها من التصحر وانعدام المخزون المائي وهذا كله يؤثر على الثروة الحيوانية، ولهذا لولا الخوف من انقراض البهائم ما نزلت المطر.

فابتعاد الإنسان عن منهج الله يهلك العباد والبلاد ولهذا لا عجب من أن البيئة ومن فيها يحمد الله ويستريح بموت الفاجر كما في الحديث عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: ((مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ))[24].

والخلاصة أن الإنسان بسبب استخلاف الله تعالى له وتمكينه من الأرض كان سيد المخلوقات والفاعل المؤثر بالبيئة، وعندما يعرض عن هدي الله تعالى يفسد البيئة ويحدث الخلل في توازنها، وعندما يلتزم بهدي الله تعالى ويعمر الكون وفق منهجه تبقى البيئة صالحة طيبة.

---

[22]- أخرجه مسلم برقم (2937)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

وقال النووي: (الرِّسْل) بِكَسْرِ الرَّاء وَإِسْكَان السِّين هُوَ اللَّبَن، وَاللِّقْحَة بِكَسْرِ اللَّام وَفَتْحهَا، لُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، وَالْكَسْر أَشْهَر، وَهِيَ الْقَرِيبَة الْعَهْد بِالْوِلَادَةِ ، وَجَمْعهَا لِقَح بِكَسْرِ اللَّام وَفَتْح الْقَاف، كَبِرْكَةٍ وَبِرَك، وَاللِّقُوح ذَات اللَّبَن، وَجَمْعهَا لِقَاح، وَالْفِئَام بِكَسْرِ الْفَاء وَبَعْدهَا هَمْزَة مَمْدُودَة، وَهِيَ الْجَمَاعَة الْكَثِيرَة، هَذَا هُوَ الْمَشْهُور وَالْمَعْرُوف فِي اللُّغَة وَكُتُب الْغَرِيب، وَرِوَايَة الْحَدِيث أَنَّهُ بِكَسْرِ الْفَاء وَالْهَمْز، قَالَ الْقَاضِي : وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُجِيز الْهَمْز، بَلْ يَقُولهُ بِالْيَاءِ، وَقَالَ فِي الْمَشَارِق : وَحَكَاهُ الْخَلِيل بِفَتْحِ الْفَاء، وَهِيَ رِوَايَة الْقَابِسِيّ . النووي ، شرح صحيح مسلم، ج18، ص69.

[23]- أخرجه ابن ماجه برقم (4009)، كتاب الفتن، باب العقوبات.

[24]- أخرجه البخاري برقم (6512)، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المبحث الثاني: البيئة في الإسلام

أولت الشريعة الإسلامية البيئة عناية كبيرة، وسنت لها تشريعات كثيرة لتضبط الإنسان بالمنهج الذي يجعله صالحاً طيباً، لتصلح به البيئة، ولعلنا نتبين هذا من خلال المسائل التالية:

أولًا: الحفاظ على البيئة من الإيمان

لقد بين الإسلام أن الحفاظ على البيئة من عقيدة المسلم، وجزء من إيمانه، فقد ربط القرآن بين الإيمان وبين ترك الفساد فقال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [الأعراف: 85]، فالمؤمن من يحافظ على صلاح الأرض، وأما من يفسد فيها ويغير النظام الذي أقامها الله فليس بمؤمن، ولهذا وصف الله المنافقين بأنهم يفسدون في الأرض فقال: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: 11، 12]، فالفساد وليد النفاق ولا يجتمع مع الإيمان أبداً، وكثيراً ما نرى وصفه ملازماً للكفرة والمجرمين، كما قال تعالى عن رأس النفاق الأخنس بن شَرِيق الثقفي: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: 205]، ومثله عن اليهود وعن المنافقين في مواضع كثيرة، وأوضح مما سبق ما قال عليه الصلاة والسلام: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ))[25]، إن نظافة الشوارع من الإيمان، ومن يتساهل في نظافتها ويلقي الأوساخ بلا مبالاة ففيه نقص في إيمانه، ولا شك أن نظافة الطرقات يتولد عنها جمال المنظر وموت الهوام المؤذية والقضاء على الأوبئة والأمراض وهذا من أسمى ألوان الحفاظ على البيئة، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[26]، ولعل من أكبر صور إيذاء اليد التي يجب أن يبتعد عنها المسلم عندما يُفسد البيئة، فيُفسد على الناس حياتِهم، إن هذه منزلة كبيرة تبين أهمية البيئة في الإسلام.

ثانيًا: الفقه البيئي

وملمح آخر نجد من خلاله أهمية البيئة في الشريعة الإسلامية، هو الفقه البيئي إن صحت التسمية، الذي نجده في الشريعة ظاهرًا من خلال النقاط التالية:

1- الحفاظ على البيئة من مقاصد الشريعة

من المعلوم أن الشريعة جاءت لتحقق مصالح العباد، والتي حددها الشاطبي في الضروريات الخمس، الدين والعقل والنفس والنسل والمال، وهي مقاصد الشريعة، وبالنظر في هذه المقاصد نجد أن كل مقصد منها فيه بعدٌ بيئي، فالحفاظ على الدين يعني سلامة الإيمان ومحاربة الكفر والنفاق، ولقد تبين سابقاً أن الإيمان هو سبيل الحفاظ على البيئة والنفاق والكفر من أخطر سبل تلويثها، والحفاظ على العقل الذي من طرقه إبعاد كل ما يضره ويذهبه من خمر ونحوه، وهو يحمل في طياته حفاظًا على البيئة لأن المجنون والسكران لا يقيمان وزناً لما حولهم من معالم البيئة، والحفاظ على النفس بعدم قتلها وتحصينها مما يؤذيها، هو دعوة كبيرة للحفاظ على البيئة لأن تلوث البيئة من أكبر مصادر أذى النفس بما يسببه فيها من أمراض وأوبئة، والحفاظ على النسل لا يخلو من بعد بيئي فبقاء

[25]- أخرجه مسلم برقم(35) ، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

[26]- أخرجه البخاري برقم(9)، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

النسل من نكاح وتربية الأولاد على القيم، تسهم في الحفاظ على البيئة أما الفجور والزنا يفسدانها لما في نفوس أصحابها من بعد عن الله ولما سينزل الله على البيئة من عقاب كما مر سابقاً، والحفاظ على المال من أوضح المقاصد في الحفاظ على البيئة فالنبات والماء والتربة والحيوان كل هذه أموال وهذه هي البيئة، فالحفاظ على المال تأمين سلامتها ومحاربة تلويثها وإيذائها.

ولهذا يمكن القول: إن الحفاظ على البيئة مقصد ضمني للشريعة الإسلامية.

2- النظريات الفقهية والبيئة

من النظريات الفقهية التي بني عليها الاجتهاد الفقهي والتي تراعي الحفاظ على البيئة نظريةُ التعسف في استعمال الحق، والتي مفادها أنها لا يجوز استعمال الشخص حقه المشروع على وجه يضر بالأخرين، وذلك من الضرر وقد نهى النبي ﷺ عنه فقال: ((لا ضرر ولا ضرار))[27]، وهذا الحديث عمدة النظرية وما تفرع عنها من قواعد كالضرر يزال، والضرر لا يكون قديماً، وغيرها ومثلها كثير من الأحكام البيئة تبنى على هذه النظرية فلا يجوز رمي الأوساخ في الشارع لأنه ضرر، ولا يجوز تلويث مياه الأنهار لأنه ضرر ولا يجوز ترك السيارة تنفث الدخان ولا يجوز رمي مخلفات المصانع ولا يجوز إقامتها بين البنيان إن كانت تخرج مواد تؤذي، إلى غير ذلك ، وكلها أحكام تصب في الحفاظ على البيئة.

3- الأحكام الفقهية المتعلقة بالبيئة

إن الناظر في التراث الفقهي الإسلامي يجد عناية كبيرة بالبيئة، وأحكاماً تتعلق بالحفاظ عليها متناثرة في طيات الأبواب الفقهية فمن أحكام الطهارة كحرمة البول في الماء الراكد وتحت الشجر وفي قارعة الطريق إلى أحكام المرافق العامة من عدم الاعتداء على الملكية العامة ومرافق الناس إلى أحكام الرفق والرحمة بالحيوانات إضافة إلى أحكام العمل واستثمار الأرض، وأهمها الحفاظ على الثروات الطبيعية وحرمة تملكها من الماء والكلأ والنار، إلى غير ذلك من التراث الفقهي الإسلامي الذي يشكل معلماً حضارياً رائعاً، وصورة ناصعة من رقي الشريعة الإسلامية سبقت وما زالت تسبق الأنظمة البيئية المعاصرة.

ثالثًا: الحفاظ على البيئة قيمة أخلاقية

ومن مراعاة الشريعة للبيئة أنها جعلت الحفاظ عليها قيمة أخلاقية كبيرة، يحمد فاعلها ويذم تاركها، ويشهد لذلك الحديث السابق ((وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))، كما جاء ذلك في نصوص أخرى، تدعو للحفاظ على النبات والرفق بالحيوان وترك تلويث مصادر المياه والحفاظ على الطرقات مما سيأتي إن شاء الله، كما جعلت الحفاظ على البيئة من القربات لله وسبب المغفرة كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّذَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ))[28]، وفي بعض روايات الحديث أنه لم يعمل خيراً قط، ((نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ غُصْنَ شَوْكٍ عَنْ الطَّرِيقِ إِمَّا كَانَ فِي شَجَرَةٍ فَقَطَعَهُ وَأَلْقَاهُ، وَإِمَّا كَانَ مَوْضُوعًا فَأَمَاطَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ بِهَا فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ))[29]،فتأمل كيف كفر هذا العمل خطاياه.

---

[27]- أخرجه ابن ماجه برقم (2331)، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره.

[28]- أخرجه البخاري برقم(2472)، كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به.

[29]- أخرجه أبو داود برقم (4565)، كتاب الأدب، باب في إماطة الأذى عن الطريق.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

إن جعلَ الحفاظ على البيئة قيمةً أخلاقيةً إيمانيةً أكبرُ دافع للحفاظ عليها؛ لأَنَّ الإنسان لا يقاد إلا من عقيدته، ولا يخضع طواعية في السر والعلن إلا لسلطان الإيمان، لذلك عندما ينظر إلى الحفاظ على البيئة على أنه جزء من الإيمان، وأنه دليل حسن الخلق، وأنه مرضاة لله تعالى وتكفير للذنوب، فإنه يحرص كل الحرص عليها ويندفع من منطلق مرضاة الله والفوز بالجنة لا يريد جزاء العباد ولا ثناءهم، أما عندما ينطلق الإنسان في الحفاظ على البيئة من الخوف من سلطة القانون، فإنه لا يبالي بها عندما يغيب الرقيب، ولهذا تسرع الدول في العالم المتمدن والعالم العربي لإصدار قوانين حفظ البيئة وسن الغرامات وغيرها، ومع أهمية ذلك لكنه ليس هو الأصل، بل لو اتبعت سياسة ترسيخ القيم الدينية والأخلاقية لكونت نفسًا مؤمنة ملتزمة بدافع الإيمان، ولكن ما تغني تشريعاتهم وقوانينهم إذا كانت منابع الفساد والفجور تضرب أطنابها وتسلخ العبد عن دينه؟!

المبحث الثالث: الأحكام والأخلاق البيئية

بعد بيان أهمية البيئة في الإسلام، ودور القيمة الخلقية في الحفاظ عليها، يجمُل أن نتلمس الأخلاق الإسلامية التي تربي المسلم على الحفاظ على البيئة، ولقد عزمت بداية على استعراض كل مكون من مكونات البيئة وبحث القيم الأخلاقية التي تدعو للحفاظ عليه، وعندما رأيت تداخلاً بين الأخلاق في أكثر المكونات، عدلت إلى ذكر كل خلق ودوره في الحفاظ على مكونات البيئة كلها، وأهم هذه الأخلاق هي:

أولًا: الشكر

الشكر برهان الإيمان فقد قال تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: 35]، وبرهان النجاح في البلاء، صبر على الشر وشكر على الخير، وكثيراً ما ختمت آيات النعم ببيان الغاية منها وهي الشكر، كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 14]، وهو حصن البلاء والنقم كما قال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: 147]، وهو سبب الزيادة والبركة: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: 7]، وهو باب لنيل رضى الله تعالى، كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» [30]، وإن البيئة من نعم الله تعالى على الإنسان كما سبق بيانه، فالماء هو أصل الحياة كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } [الأنبياء: 30]، وقال: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ } [النور: 45]، وهو بهذا ينبه الأذهان إلى خطورة هذه النعمة وأهميتها، حتى لا يتساهل بها الناس، وذكرهم القرآن بفضل الله عليهم بنعمة الماء فقال تعالى: ({أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } [الواقعة: 68 – 70]، وذكرهم بالنعم التي تتوقف على وجود الماء ليزدادوا شكراً لله تعالى على نعمة الماء، فقال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 10–11].

ومن نعم الله تعالى علينا أن مهد لنا الأرض وجعلها مذللة للإنسان، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: 15]، وأخرج الزرع بمنّه وجوده لا بجهد الإنسان وسعيه، قال سبحانه: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: 63 – 65]، وأخرج من الأرض ما لذ وطاب وأذن لعباده بالتنعم به، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ

[30] – أخرجه مسلم برقم (2734)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأنعام: 141]، وآيات كثيرة في كتاب تبين فضل الله ونعمه بما منّ به من نعم على خلقه مما أخرج لهم من طيبات الأرض. ومن نعم الله الأنعام فهي مأكل ومشرب ومركب، ومنها لباس وبيوت، قال تعالى: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ *وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } [النحل: 5،6،7]، وقال: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [النحل: 80].

فعندما يتشرب المسلم هذا المعاني ويدرك أن الماء والنبات والحيوان والهواء والأرض نعمٌ من الله تعالى، فإنه يسرع ليقابلها بالشكر لكي يزيده الله منها ويبقيها الله له لأَنَّ الشكر حصن النعم،، وليس الشكر كلماتِ حمدٍ وثناءٍ باللسان فقط، بل هو سلوك وعمل يظهر من خلاله تقدير نعمة الله تعالى، قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } [سبأ: 13]، فقال اعملوا ولم يقل قولوا، ولما كان الشاكرون بالعمل قلة قال: وقليل من عبادي الشكور، فحتى يكون العبد شاكراً لله على النعم البيئية ومحافظاً عليها من الزوال لابد أن يستعملها في طاعة الله ولا يعصي الله فيها، ويحافظ عليها من الفساد، ويلتزم بالأحكام التي شرعها الله تعالى وأوصاه بالتعامل من خلالها مه البيئة ومكوناتها..

ثانيًا: الطهارة

الطهارة من أهم القيم الأخلاقية والسلوكيات التي يجب أن يتخلق بها المسلم، والتي يحبها الله تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ } [التوبة: 108]، وهي شطر الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ))[31]، وعامة عذاب القبر من التقصير فيها، يقول عليه الصلاة والسلام: ((أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ الْبَوْلِ))[32]، وقد جعلها الإسلام شرطاً لكثير من العبادات كالصلاة وتلاوة القرآن والطواف والاعتكاف، واشترط طهارة الماء ليصح به رفع الحدث أو إزالة النجس، وحرم استعمال الماء المتنجس في العبادات والعادات، ولهذا حذر من تنجيس الماء وأمر بالمحافظة على طهارته، ففي حديث جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ))[33]، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ))[34]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ))[35]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اتقوا الملاعن الثلاث قيل: ما الملاعن الثلاث يا رسول الله؟ قال: أن يقعد أحدكم في ظل يستظل به أو في طريق أو في نقع ماء))[36]،وفي هذه الأحاديث توجيه وإرشاد للحفاظ على البيئة من النجاسة التي هي أكبر مصادر التلوث، الذي يغير مواصفات الماء من طعمه ولونه وريحه فلا يبقى صالحاً، للعبادات وقد لا يصلح للعادات كما يسبب أوبئة للناس بسبب فساد الهواء من ريح النجاسات وفساد التربة وانتشار الجراثيم والهوام الضارة والبلهارسيا التي تؤدي إلى الكوليرا، فضلًا عن تشويه المنظر العام،

---

[31]– أخرجه مسلم برقم(223)، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء

[32]– أخرجه ابن ماجه برقم (342)، كتاب الطهارة، باب التشديد في البول.

[33]– أخرجه مسلم برقم (281)، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد.

[34]– أخرجه مسلم رقم (282)، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد.

[35]– أخرجه أبو داود برقم (24)، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن البول فيها، وابن ماجه برقم (323)، كتاب الطهارة، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطرق.

[36]_ أخرجه أحمد في مسنده برقم (2580).

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ولهذا أقول إنها لجريمة دينية وخلقية وإنسانية ما تفعله بعض الدول من تحويل مصارف الصرف الصحي للأنهار، فتلوث الماء وتفسده والنيل وبردى والفرات خير شاهد، كما تقوم بسقي النباتات من المياه المتنجسة، وتهمل شأن المصارف الصحية حتى تطفو على الشوارع وتنتشر الأمراض والأوبئة، إنها جريمة ضد الإنسانية ولكن أين الرقيب؟.

ثالثًا: النظافة

ما سبق هو الطهارة الواجبة، وأما الطهارة المندوبة وهي النظافة، فهي خلق إسلامي راقٍ للحفاظ على البيئة، والنظافة والتجمل شعار المسلم، ولهذا حث الإسلام على الاغتسال كل جمعة على الأقل، وعند اجتماع الناس، وعلى مس الطيب ولبس الثياب النظيفة والجميلة، وتعاهد الشعر وتقليم الأظافر وإزالة شعر العانة والإبط، والنصوص في هذا كثيرة، وليست النظافة في الجسد واللباس فحسب بل في البيت والشارع والأماكن العامة، وقد بينت النصوص أهمية النظافة، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]، وقال ﷺ : ((إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا – أراه قال– أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود))[37]، وقال: ((عَشْرٌ مِنْ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسِّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الْإِبِطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ)) قَالَ زَكَرِيَّاءُ: قَالَ: مُصْعَبٌ وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ))[38].

وعن عائشة قالت : ((أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد في الدور وأن ينظف ويطيب))[39]، وعن عن جابر ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً وسخة ثيابه، فقال: ((أما وجد هذا ما ينقي ثيابه ؟)) ورأى رجلا ثائر الشعر فقال : ((ما وجد هذا ما يسكن به شعره ؟))[40]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ))[41]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ))[42].

لقد دعا الإسلام ومدح من حمل غصن شوك من الطريق وهو يضيقه ولا يؤذيه بريح أو يتسبب بالجراثيم، فأين هي المجتمعات التي تحسب على الإسلام و فيها تلال القمامة تملأ شوارعها فتضيقها على المارة وتزعجها برائحتها، وتنشر الجراثيم والأمراض، وتصبح ملعباً للقطط والكلاب، إن القائمين على هذه المجتمعات عندما أهملوا بل وحاربوا الدين فيها وربوا الناس على المجون والشهوات أنتجوا هذه المظاهر، ولو رسخوا قيم الإسلام وأنشؤوا الجيل عليها لطابت النفوس والبلاد والعباد.

إن النظافة لها أثر كبير في الحفاظ على سلامة الجسد ونقاء الهواء وصحة الحيوان وسلامة النبات، والحفاظ على نقاء الماء السطحي والجوفي، وعندما يصبح خلق النظافة راسخاً في الفرد والمجتمع تصبح البيئة أكثر أمناً وجمالاً.

رابعًا: الاقتصاد (ترك الإسراف)

الإسراف كما عرفه الجرجاني: ((إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس، وتجاوز الحد في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة، وقيل: الإسراف: تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق؛ وصرف

---

[37]– أخرجه الترمذي برقم (2799)، كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة، وقال: حديث غريب.

[38]– أخرجه مسلم برقم (261)، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة.

[39]– أخرجه أبو داوود برقم (384–)، كتاب الصلاة، باب اتخاذ المساجد في الدور، والترمذي برقم (594)، كتاب الصلاة، باب ما ذكر في تطييب المسجد .

[40]– أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (1976).

[41]– أخرجه مسلم برقم (35)، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

[42]– أخرجه البخاري برقم (2472)، كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي، بخلاف التبذير، فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي))[43]، فواضح أن الإسراف يتعلق بالكم، والتبذير يتعلق بالكيف، فمن أكل من الحلال فوق الحاجة فهو إسراف ومن أكل من الحرام ولو درهماً فهو تبذير.

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم يقتصدون في نفقتهم فقال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67]، فهم مقتصدون وسط بين سيئتي البخل والإسراف، والإسراف والمسرفين يكرههم الله تعالى، قال سبحانه: { إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف: 31]، ولعل هذه الآية تعصف بقلب المؤمن لتشعره بقبح الإسراف، وبعد المسرفين عن الله تعالى، والإسراف والفساد توأمان، فحيثما وجد أحدهما وجد الآخر،{ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء: 151، 152]، وقال عن فرعون في سورة يونس: {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ } [يونس: 83]، وفي سورة القصص: {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 4]، لذلك من تحلى بخلق الاقتصاد ابتعد عن وصف الفساد وكان من المصلحين والمحافظين على صلاح الأرض، فالإسراف في المياه مهلكة للبيئة لأنه يؤدي إلى هدر هذه النعمة مما يسبب في نفادها وقلتها، ولربما عاقب الله المسرف بزوال النعمة كما قص علينا ربنا كيف جعل جنان سبأ وأنهارها خراباً، وحذرنا من أنه يجعل الماء غوراً، وذلك معاقبة على أفعال العباد ومنها الإسراف، فمن لا يحافظ على النعمة يسلبها الله منه، وفي زوال الماء هلاك للزرع وللثروة الحيوانية وانتشار للجفاف وشدة الحرارة، بل هلاك البيئة كلها، لهذا حرم الإسلام الإسراف في استعمال الماء حتى ولو كان في العبادة ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ:((مَا هَذَا السَّرَفُ))؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ:((نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ))[44]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ))[45]، وشرح صاحب عون المعبود معنى الاعتداء فقال: ((فَالِاعْتِدَاء فِي الطُّهُور بِالزِّيَادَةِ عَلَى الثَّلَاث، وَإِسْرَاف الْمَاء، وَبِالْمُبَالَغَةِ فِي الْغَسْل إِلَى حَدّ الْوَسْوَاس، أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى النَّهْي عَنْ الْإِسْرَاف فِي الْمَاء وَلَوْ فِي شَاطِئ الْبَحْر، لِمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَد وَابْن مَاجَهْ عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو " أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأ ، فَقَالَ : مَا هَذَا السَّرَف يَا سَعْد؟ قَالَ : أَفِي الْوُضُوء سَرَف ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْت عَلَى نَهَر جَارٍ " اِنْتَهَى، وَحَدِيث اِبْن مُغَفَّل هَذَا يَتَنَاوَل الْغُسْل وَالْوُضُوء وَإِزَالَة النَّجَاسَة))[46].

والإسراف في الطعام والشراب يؤدي إلى إهلاك الثروة الحيوانية والنباتية بلا فائدة، كما قد يدفع بعض المتكبرين ليهلك ثروة نباتية هائلة من أجل بناء قصر له، كما نرى من الاعتداء على الغابات والحدائق من أجل المفاخرة بالفنادق والمقاصف والملاهي، أو يحمل بعضهم على اقتطاع منطقة كاملة له مما يضر بأموال الآخرين كما سيأتي في تحريم الحمى.

خامسًا: الصدقة

الصدقة واجبةً كالزكاة أو مندوبةً كغيرها، تسهم في الحفاظ على البيئة، ولها وجوه كثيرة، منها الصدقة بالماء، كحفر بئر، كما جاء عن سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ ((قَالَ: الْمَاءُ))، قَالَ فَحَفَرَ بِئْرًا وَقَالَ هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ[47]، وهذا حث على زيادة مصادر المياه مما يثمر تغييراً بيئيا واضحاً لأن كل عناصر البيئة– النبات والحيوان والهواء الطيب – توجد حيث يوجد ماء.

---

[43]– الجرجاني، التعريفات ، ص 24

[44]– أخرجه ابن ماجه برقم (419)،كتاب الطهارة، باب ما جاء في القصد في الوضوء .

[45]– أخرجه أبو داود برقم (88)، كتاب الطهارة، باب الإسراف في الماء .

[46]– محمد أشرف العظيم آبادي، عون المعبود سرح سنن أبي داود، ج1، ص118.

[47]– أخرجه أبو داود برقم (1431)، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ومنها زكاة المواشي على الفقراء مما تجعل منهم أصحاب أنعام فيحافظوا عليها، ومنها مشاريع الوقف الخيرية التي يمكن أن تستغل لصالح البيئة، كالوقف على عمال النظافة أو التبرع بعلاج الأوبئة أو الوقف والصدقة لمشاريع نظافة وتجميل الشوارع وتطوير الأرياف وإقامة المشاريع الصحية وغيرها.

إن الزكاة والصدقة لهي من أهم موارد الخزانة العامة التي تساعدها على تجميل البيئة والحفاظ عليها، ولا تغني عنها شريعة الضرائب، لأن المزكي والمتصدق ينفق ابتغاء مرضاة الله وطلباً للثواب والجنة، وأما دافع الضرائب ينفق خوفاً من القانون، ولهذا يسارع الأول ويبادر، ويراوغ الثاني ويتهرب.

سادسًا: (الإيثار وترك الطمع) تحريم حمى الأرض.

الحمى كما عرفه ابن قدامة هو: (أن يحمي أرضًا من الموات، يمنع الناس رعي ما فيها من الكلأ، ليختص بها دونهم). [48]
وهو عادة جاهلية، كما قال ابن قدامة: " وكانت العرب في الجاهلية تعرف ذلك، فكان منهم من إذا انتجع بلدًا أوفى بكلب على نشز[49]، ثم استعواه. ووقف له من كل ناحية من يسمع صوته بالعواء، فحيثما انتهى صوته حماه من كل ناحية لنفسه، ويرعى مع العامة فيما سواه. فنهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عنه؛ لما فيه من التضييق على الناس، ومنعهم من الانتفاع بشيء لهم فيه حق. وروى الصعب بن جثامة، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((لا حمى إلا لله ولرسوله[50])) "[51].
ومن رحمة الشريعة وعدلها جعلت الماء والكلأ لكل البشر، فقال عليه الصلاة والسلام: ((الْمُسْلِمُونَ شركاء في ثلاث في الكلإ و الماء والنار))[52]، فليس لحاكم ولا بشر أن يستولي على منابع المياه ويبيعها للناس أو يمنعهم منها، وهذا احتراز مهم للحفاظ على سلامة البيئة وسد أبواب الفساد، وحتى لو نبعت مياه في أرضه فليس له أن يمنع الناس مما زاد على حاجته ولا يبيع فضلها، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:نَ هَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ[53]، وهذا في غير الماء الذي حفره هو في ملكه، ويبين المسألة بوضوح ابن الجزي فيقول: ((المسألة الثالثة في المياه وهي بالنظر إلى تملكها والانتفاع بها تنقسم إلى أربعة أقسام: " القسم الأول " ماء خاص وهو الماء المتملك في الأرض المتملكة كالبئر والعين، فينتفع به صاحبه وله أن يمنع غيره من الانتفاع به، وأن يبيعه ويستحب له أن يبذله بغير ثمن ولا يجبر على ذلك إلا أن يكون قوم اشتد بهم العطش فخافوا الموت فيجب عليه سقيهم، فإن منعهم فلهم أن يقاتلوه على ذلك، وكذلك إن انهارت بئر جاره وله زرع يخاف عليه التلف فعليه أن يبذل له فضل مائة ما دام متشاغلاً بإصلاح بئره. "القسم الثاني " ماء عام وهو غير متملك في أرض غير متملكة كالأنهار والعيون والغدر، فالناس فيه سواء لا يختص به أحد دون أحد "القسم الثالث" ماء يتجمع من الأمطار والسيول فيجري إلى أرض بعد أرض، فيأخذه الأعلى فالأعلى فيسقي ويمسكه حتى يصل إلى الكعبين ثم يطلقه للذي تحته "القسم الرابع" الآبار التي تحفر في البوادي لسقي المواشي فمن حفرها يبدأ بالانتفاع ويأخذ الناس ما فضل لهم

[48]– ابن قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ، المغني، ج5، ص 428.
[49] – أي أرسل كلبًا لمكان مرتفع .
[50]– أخرجه البخاري برقم (2370)، كتاب المساقاة، باب لا حمى إلا لله ورسوله.
[51] – ابن قُدَامَةَ، المغني، ج5، ص429.
[52]– أخرجه أبو داود برقم (3016)، كتاب أبواب الإجارة، باب في منع الماء.
[53]– أخرجه مسلم برقم (1565)، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع فضل الماء.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وليس له أن يمنعهم من ذلك))[54]، إن تحريم الاستيلاء على المراعي والنبات الطبيعي لهو خطوة رائدة في سد باب الفساد وجشع المسرفين، وتأمين سلامة حياة كل الناس.

سابعًا: العمل

قد يبدو العمل سلوكاً أكثر منه خلقاً، ولكنه سلوك ينطوي على أخلاق كثيرة، فصاحب العمل إنسان عفيف أبى أن يعيش على فتات الناس وأوساخهم، وهو إنسان حيي لأنه شق عليه أن يرى الناس فاقته أو أن يحدثهم بها، كما أنه رجل صبور لأن العمل شاق ومجهد وكم من عاطل دعته لبطالته مشقة العمل، وهو كريم لا يأكل إلا من عمل يده، وكل هذه وغيرها قيم أخلاقية مهمة لتبني الحضارة، ومن العمل الذي يتعلق بحماية البيئة الزراعية أمور عديدة، منها:

1-إحياء الموات

عرف ابن قدامة الموات بقوله: (هُوَ الْأَرْضُ الْخَرَابُ الدَّارِسَةُ، تُسَمَّى مَيْتَةً وَمَوَاتًا وَمَوَتَانًا، بِفَتْحِ

الْمِيمِ وَالْوَاوِ)، فهي الأرض البور التي لا تزرع ولا يملكها أحد، فقد ندب الإسلام إلى استصلاحها، وجعلها ملكاً لمن يستصلحها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ بها))[55]، وفي لفظ: ((مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ))[56]، وقد يكون الإحياء بغرسها أشجاراً أو زراعة أو تفجير أنهار فيها أو حفر آبار أو بناء ونحوه، وكل هذا يعطي بيئة جيدة هي خير من الموات، وفي إحياء الموات تفاصيل فقهية ليست غرضنا هنا، وإنما المهم أن ندرك أهمية هذه الشرعة في زيادة الغطاء النباتي واستصلاح الأراضي، مما ينتج عنه منافع بيئية كثيرة من توفير قوت الإنسان والحيوان وتلطيف الجو والقضاء على التصحر وتأمين غاز الأوكسجين والماء ونحو هذا، وهذه دعوة قوية للحفاظ على البيئة.

2- الحرص على الغرس

لقد شحذ الإسلام همم أبنائه لزيادة الغطاء النباتي بأن حبب إليهم غرس الأراضي وأن لا يهملوها، فقال عليه الصلاة والسلام: ((ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة))[57]، وهنا يعطي الزراعة بعداً عبادياً بحيث يصبح الزارع يقصد بها القربة لله تعالى، بل حتى لو علم العبد أنه هالك أو الساعة قائمة، فليغرس غرسه ولا يترك أرضه، قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها))[58]،ولا أظن تشريعا بلغ به الحرص على الغطاء النباتي كتشريع الإسلام من خلال هذا الحديث.

3- تربية الحيوان

لقد بين النبي ﷺ أن تربية الحيوان والقيام على رعايته صدقة وأجر، ففي الحديث ((بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل، لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي

---

[54]- ابن جزي الغرناطي، القوانين الفقهية، ص 222

[55]- أخرجه البخاري برقم (2335)، كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيى أرضًا مواتًا.

[56]- الحديث السابق.

[57]- أخرجه البخاري برقم (2320)، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه.

[58]- أخرجه أحمد برقم (12512)، باب اصطناع المال.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له فغفر له"، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: في كل ذات كبد رطبة أجر))[59]، فالحديث في نهايته يعمم الأجر بكل حيوان كما عمم الصحابة سؤالهم، فهذا يغري المؤمن بأن يرعى الحيوانات ويحسن إليها، وربما جاءت نصوص لتربية حيوان بعينه، كما في حديث ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[60]، وحديث ((يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنمٌ يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن))[61]، وحديث ((الْإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا وَالْغَنَمُ بَرَكَةٌ وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[62]، فهذا حث على تربية أنواع معينة من الحيوانات لما فيها لنفع البشر من أغراض الجهاد والطعام وغيرهما.

ثامنًا: ترك الضرر

وقد سبق تأصيل هذا المبدأ والخلق في المبحث الثاني، ومن وجوه الضرر هنا:

1- قطع الأشجار

لقد حرم الإسلام قطع الشجر بدون سبب؛ لأَنَّ بذلك حرماناً للناس من منافعها، وإفساداً للبيئة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ))، وسُئِلَ أَبُو دَاوُد عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِي مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا، صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ[63].

2- منع فضل الماء

وقد مر سابقا بأن من انفجرت في أرضه ماء فله أن يسقي منها ولا يمنع فضلها على الناس حتى لا تخرب زراعتهم.

3- حمى الموات دون استصلاح

لقد سبق بيان معنى الموات وأهميته، والمفيد هنا أن نعلم أن الحاكم يمنع من وضع يده على الأرض ولم يستصلحها، لأنه أضر بالمسلمين وحال أن يستصلحها غيره، فيضرب له الحاكم مدة وإلا صار لغيره الحق فيها، فروي عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مَنْ تَحَجَّرَ أَرْضًا فَعَطَّلَهَا ثَلَاثَ سِنِينَ، فَجَاءَ قَوْمٌ فَعَمَرُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا[64]، وكذلك لو أحياها ثم أهملها حتى عادت مواتاً فتنزع ملكيتها عنه عند مالك رحمه الله تعالى، لأنها عادت لأصلها[65]، فكل هذه الأحكام تهدف سلب حق الانتفاع ممن أراد أن يحيي مواتاً ولم يفعل لأن في تصرفه هذا إبقاء للأرض مواتاً وتعطيلاً لاستصلاحها.

---

[59]–أخرجه البخاري برقم (6009)، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

[60]– أخرجه البخاري برقم (2850)، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير.

[61]– أخرجه البخاري برقم (19)، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن.

[62]– أخرجه ابن ماجه (2296)، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية.

[63]– أخرجه أبو داود برقم (4561)، كتاب الأدب، باب في قطع السدر.

[64]– ابن قدامة، المغني، ج5، ص 420.

[65]–ابن قدامة، المغني، ج5، ص 416.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

تاسعًا: الرحمة

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:((دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ))[66]، هذا الحديث أصل في وجوب الرحمة والإحسان للحيوان، وعدم جواز إلحاق الضرر به، ولهذا ذهب الفقهاء إلى:

–وجوب النفقة على الدواب: من طعام وشراب، قال الكاساني: (وأما نَفَقَةُ الْبَهَائِمِ فَلَا يُجْبَرُ عَلَيْهَا فِي ظَاهِرِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّهُ يُفْتَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُنْفِقَ عَلَيْهَا، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ أَنَّهُ يُجْبَرُ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّ فِي تَرْكِهِ جَائِعًا تَعْذِيبَ الْحَيَوَانِ بِلَا فَائِدَةٍ وَتَضْيِيعَ الْمَالِ وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِأَنَّهُ سَفَهٌ لِخُلُوِّهِ عَنْ الْعَاقِبَةِ الْحَمِيدَةِ وَالسَّفَهُ حَرَامٌ عَقْلًا)[67]

– ألا يحمل عليه فوق طاقته

لأن لها طاقة وهي روح فتتأذى لو كلفت فوق طاقتها، ذكر النبي ﷺ : أن رجلًا كان يسوق بقرةً قد حمل عليها، فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله، أبقرة تكلّم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم((وإني أومن به وأبو بكر وعمر))[68]، و مر رسول الله ﷺ ببهيمة قد لصق ظهرها ببطنها، فهاله ما رأى من خرق لحقوق هذا الحيوان، فانتفض غاضبًا وقال: "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة"[69]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ... إلى أن قال: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِن الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ, فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ, فَأَتَاهُ النَّبِيُّ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ (أصل أذنه) فَسَكَتَ, فَقَالَ: "مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟! لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟!" فَجَاءَ فَتًى مِن الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: "أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟! فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ (أي: تُتعبه).[70]

إن هذه النصوص تعكس عظمة الإسلام في رحمة الحيوان.

– تعذيب الحيوان

لقد نهى الإسلام عن أي: عمل فيه تعذيب بالحيوان، فقد رأى النبي ﷺ قرية نمل قد أحرقها الصحابة فقال: ((من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار))[71]، ومن التعذيب أن يُتخذَ الحيوانُ هدفًا للتدريب على الرماية فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا[72]، فالحيوان روح وأحاسيس ولا يجوز تعذيبه.

---

[66]– أخرجه البخاري برقم (3318)،كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحل والحرم.

[67]– الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج4، ص40.

[68]– أخرجه البخاري برقم (3471)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (دون اسم) .

[69]– أخرجه أبو داود برقم (2185)، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم.

[70] – أخرجه أبو داود برقم (2549) ، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم.

[71]– أخرجه أبو داود برقم (2300)، كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار.

[72]– أخرجه مسلم برقم (1958)، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

- إحسان ذبحه

ومع أن الإسلام أباح ذبح بعض الحيوانات لأكلها لكنه أمر بالرحمة في ذبحها وعدم إساءتها وتعذيبها، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته))[73]، ومن إحسان الذبح أن لا يحد سكينته أمامها لأن لها مشاعر، فقد مر ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: ((أفلا قبل هذا! أتريد أن تميتها موتتين؟))[74] .

- احترام مشاعره

إن الإسلام راعى مشاعر الحيوان ومنها حق الأمومة عند الحيوان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرّش، فجاء النبي ﷺ فقال: ((من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها))[75]!.، ومن احترام المشاعر الإحساس بحاجته كما في الحديث ((بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل، لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له فغفر له"، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: في كل ذات كبد رطبة أجر))[76].

إن ما سبق من صور الرحمة بالحيوان سبقت ما تدعو إليه منظمات الرفق بالحيوان، التي ما أقيمت في بلادهم إلا لتدفع الظلم عن الحيوان الذي كان وما يزال يمثل صورة قبيحة في بلادهم، كما أنها تمثل دعوة صريحة وكبيرة للحفاظ على الثروة الحيوانية وهي من أهم مكونات البيئة.

وأخيراً أقول: إن هذه القيم الأخلاقية التي شرعها الإسلام لهي معلم حضاري وصورة راقية تظهر سبق الإسلام واهتمامه بالبيئة، وتربية أبنائه على الحفاظ عليها، وتظهر أهمية البيئة في الإسلام .

المبحث الرابع: سبل ترسيخ الأحكام والقيم الأخلاقية البيئية

إن هذه القيم الخلقية تحتاج لنقل من عالم المثالية إلى عالم الواقعية، أو من ميدان العلم والتنظير إلى ميدان العمل والتطبيق، وهذه النقلة هي دور المؤسسات التربوية، التي مهمتها تعزيز القيم الخلقية في نفوس الناشئة وتدريبهم عليها، والمؤسسات التربوية أربع، البيت والمسجد والمدرسة والإعلام، والدور الأهم للدولة التي تشرف على هذه المؤسسات وتوجهها.

---

[73]– أخرجه مسلم برقم (1955)، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح .

[74]– أخرجه الطبراني في الأوسط برقم 3728.

[75]–أخرجه أبو داود برقم (2300)، كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار.

[76]– أخرجه البخاري برقم (6009)، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

العدد الثامن والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أولاً: دور المؤسسات التربوية

1- البيت

البيت أخطر مؤسسة تربوية على الإطلاق، لأن الطفل يوهب لأهله ورقة بيضاء يسطرون فيها ما يشاؤون، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ))[77]، والطفل وعاء يستقبل كل ما يودع فيه، وعندما يتشرب الأخلاق في صغره ستكون منهجاً له في كبره، لذا فإن على الأسرة أن تغرس في الطفل حب البيئة وأهميتها والأخلاق البيئة، فيعودانه النوم طاهراً، وغسل اليدين عند الاستيقاظ من النوم، وغسل اليدين بعد الطعام، وتنظيف الأسنان، ورعاية الحيوان والإحسان إليه، وأهمية الماء والمحافظة عليه وخطر الإسراف، وأهمية النبات وكيف يهتم به، والمحافظة على نظافة الشارع وما حوله، وأن يكون الوالدان قدوة له في تطبيق هذه الأخلاق، وليستعمل الأبوان أسلوب المكافئات لكل سلوك إيجابي نحو البيئة يصدر من الطفل، ولا بأس بأسلوب التأديب عند المخالفة.

2- المدرسة:

وهي المؤسسة التربوية الثانية التي تتلقف الأولاد لتكمل تربيتهم وتكون رديفاً لمؤسسة البيت، ولا ينكر عاقل أثر ما تقدمه هذه المؤسسة من تكوين سلوكيات الأجيال وأفكارهم، ولهذا عندما يقوم المعلمون بترسيخ الأخلاق السابقة للحفاظ على البيئة ومراقبة الطلاب في نظافتهم الشخصية والمدرسية، وتنظيم أنشطة صفية ولا صفية لتحقيق ذلك، سيخرج جيل يرى البيئة أمانة ومسؤولية، ويسعى جاهداً للتحقق بالأخلاق البيئية السابقة

3- المسجد

المسجد هو المؤسسة التربوية الأهم والأخطر في المجتمع المسلم، وإن كان دوره ضعف اليوم بسبب السياسات العلمانية التي قصرته على الصلاة فحسب، لكن لو عاد المسجد لرسالته في التعليم والتربية واحتضان الناشئة من الصغر وتربوا على الدين والأخلاق كلها ومنها الحفاظ على البيئة، وخصص القائمون على المساجد الخطب والمحاضرات للتوعية بهذا الشأن لرأينا الأثر الوضح في المجتمع، ولا أبالغ إن قلت: إنني لهذه اللحظة لم أسمع خطبة جمعة ولا درساً عن البيئة وأهميتها وضرورة الحفاظ عليها، بل ولا إنكاراً للجرائم التي ترتكب في حقها من رمي القمامة بالشوارع وتلويث الأنهار والموارد المائية والاعتداء على الثروة النباتية ولا سيما الغابات، والاعتداء على المرافق العامة ونحو ذلك، بل حتى النصوص الشرعية التي سبق ذكرها لو جاءت عرضاً لمرت مرور الكرام دون التركيز على البعد البيئي فيها، ولله المشتكى.

4- الإعلام

ولا شك أنه بعد التطور المادي المعاصر وظهور قنوات التواصل المرئية والمسموعة ومواقع التواصل العنكبوتية أصبحت المؤسسات الإعلامية ذات الخطر الأكبر والتأثير الأعظم في المجتمع، بل يمكن القول إنها قضت أو كادت تقضي على باقي المؤسسات

[77] – أخرجه البخاري برقم (1358)، كتاب الجنائز، باب بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، ومسلم برقم (2658)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

التربوية، ولهذا يلقى على عاتقها مسؤولية كبيرة في توعية الأمة بأهمية البيئة وترسيخ الأخلاق البيئية من خلال برامجها وندواتها ولقد نرى عياناً أثر ما تقدمه القنوات على أخلاق وسلوكيات الناشئة وكيف صارت الموجه لهم وكأنهم الدمى تحركهم بجهاز الريموت كنترول، ولكن للأسف جلها في ترسيخ سلوكيات دنيئة وهابطة، والله المستعان.

ثانيا: دور الدولة في ترسيخ الأخلاق البيئية

قالوا قديماً الناس على دين ملوكها، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وهو كلام حق لا ريب فيه، فالدولة هي رأس الجسد في كل نشاط اجتماعي وغيره، فعندما تقوم مؤسساتها بالاهتمام الحقيقي بالبيئة وليس بالكلام، سترى انعكاساً وأثراً واضحاً على البيئة، ولعل أهم النقاط التي يمكن فعلها من قبل الدولة في ترسيخ الأخلاق البيئية ما يلي:

1- دعم المؤسسات التربوية

إن المؤسسات التربوية التي سبق ذكرها هي ظلال منهج الدولة التي هي فيها، أي تسير في الخطوط التي رسمتها لها، فعندما تعتمد الدولة في مدارسها مناهج ترسخ الأخلاق البيئية وأنظمة تربوية داعمة لذلك ستسير المؤسسة التعليمية في ظلالاها، وعندما تسمح بل تهيئ للمسجد أن يأخذ رسالته الحقيقة في بناء المجتمع سيقوم بواجبه على أتم وجه، وعندما تراقب إعلامها وتوجهه لمرضاة الله تعالى وترسيخ أخلاق الدين عامة ومنها الأخلاق البيئية سيثمر هذا الجهد نشاطاً عظيماً في التربية البيئية وسيظهر جيل يرى البيئة نعمة فيشكر الله عليها، ويرى الحفاظ عليها ديناً يعبد الله من خلاله، ويرى أذى البيئة من الإفساد في الأرض والإسراف الذي يجلب سخط الله تعالى.

2- تأمين وسائل الحفاظ على البيئة

قد تتولد في المرء الرغبة للحفاظ على البيئة، وقد يملك الأخلاق البيئية التي سبق ذكرها، لكن لا يجد في محيطه ما يساعده على تحقيق ذلك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، عندما تنشر الدولة في شوارعها حاويات القمامة بشكل واضح وترى عمال النظافة صباح مساء ينظفون الشوارع والحدائق كيف تطاوع الإنسان نفسه أن يلقي المخلفات في الشوراع، سيرى وخز الضمير عالياً ولكن عندما يمر فيرى تلال القمامة في الطرقات والكلاب الشاردة تسرح وتمرح عندها سيدخل الضمير الحي في غيبوبة قد لا يفيق منها، ومثل هذا يقال على باقي مكونات البيئة.

كذلك عندما تتخذ الدولة العقوبات اللازمة في ردع المفسدين فإنها تساعدهم على التخلق بالأخلاق البيئية لأن الكثير يغلب عنده صوت الهوى والشهوة على صوت الضمير عندما يغيب الرقيب والحسيب، وأما إذا قامت عصا التأديب خرست ألسنة الهوى وقامت فيه معالم الخلق القويم.

3- أهمية العامل الديني في المجتمع

إن المجتمعات الإسلامية متدينة بفطرتها، وأهلها يعظمون الدين حتى وإن كانوا في بعد عنه، وإن القيمة الخلقية والقانون عندما يقدم للناس على أنه دين ويربون عليه عبادة وعقيدة، يغدو الالتزام به طواعية ويقبل الناس عليه من دون سوق بالعصي، ولكن عندما يشعرون أن الأخلاق البيئية قوانين حكومية وتوجيهات بشرية فحسب، فيلتزمون بها حيث تراهم عين القانون ويتركونها حيت تغفل

عنهم، ولهذا ترى التناقض في سلوكيات شخص بعينه بين حي وآخر وبين وقت وآخر، والسبب أنه يلتزم خوفاً من القانون لا عبادة لله تعالى.

ومن هنا ندرك أهمية حاكمية الإسلام فهو شرع كامل شامل ينظم كل حياة الناس، وندرك الجريمة الكبرى في إقصاء الدين عن حياة الناس وتقليصه في عبادات شكلية فقط كما يريد العلمانيون وأذنابهم.

لقد أدرك المنصفون من عدونا أهمية التشريعات الإسلامية عامة ومنها التشريعات البيئية فبينوا سبقها وفضلها، ومن هذا ما قالته الكاتبة الهولندية فرانسيسكا دوشاتل: " الواقع أن القول بأن محمداً [صلى الله عليه وسلم] رائد من رواد الحفاظ على البيئة سوف يقع في آذان الكثيرين في البداية موقعاً غريباً، إذ لا شك أن مصطلح "الحفاظ على البيئة" وما يرتبط به من مفاهيم مثل "البيئة" و"الوعي البيئي" و"ترشيد الاستهلاك" هي ألفاظ من اختراع العصر الحديث، أي مصطلحات صيغت لتواجه الاهتمامات المتزايدة بالوضع الراهن لعالم الطبيعة من حولنا.

ومع ذلك فإن قراءة الأحاديث النبوية عن قرب، أي تلك الروايات المتعلقة بالأحداث الهامة في حياة محمد[صلى الله عليه وسلم]، لَتُرِينا أنه كان واحداً من أشد المنادين بحماية البيئة، بل إن بمستطاعنا القول إنه كان في نصرته للبيئة سابقا لعصره، أي رائداً في مجال المحافظة على البيئة والتطور الرشيد والإدارة الحكيمة للموارد الطبيعية، وواحداً من الذين يَسْعَوْن لإقامة توازن متناسق بين الإنسان والطبيعة، وبالاستناد إلى ما أوردته لنا الأحاديث من أعماله وأقواله يمكننا القول بأن محمداً [صلى الله عليه وسلم]كان يتمتع باحترام عميق لعالم النباتات والأزهار وأنه كان على صلة حميمة بعناصر الطبيعة الأربعة: التراب والماء والنار والهواء.

لقد كان محمد [صلى الله عليه وسلم] من الدعاة الأقوياء للاستخدام الرشيد للأرض والماء واستثمارهما، وكذلك المعاملة الكريمة للحيوانات والنباتات والطيور، والحقوق المتساوية لمن يتعاملون معها من البشر، وفى هذا السياق فإن حداثة رؤيته للبيئة وحداثة المفاهيم التي جاء بها في هذا المجال لمما يَشْدَه العقل شَدْهًا، حتى لتبدو بعض أحاديثه وكأنها مناقشات عصرية حول قضايا البيئية"ا.هـ..

ثم تشرح المبادئ التي تقوم عليها الأحكام الإسلامية في البيئية وتتكلم وكأنها دارسة بعمق لهذه الأحكام، وتستعرض جلها، ثم تختم قائلة: "نقول إنه من المستحيل إيفاء المدى الذي بلغته فلسفة محمد [صلى الله عليه وسلم]البيئية، وكذلك الأهمية التي تستأهلها حقهما في هذه المقالة القصيرة، فرؤيته الشاملة للطبيعة وفهمه لمكان الإنسان داخل العالم الطبيعي هما رؤيةٌ وفهمٌ رائدان في مجال الوعي البيئي لدى المسلمين، وللأسف فإن الانسجام الذي دعا إليه محمد [صلى الله عليه وسلم] بين الإنسان وبيئته قد تم تجاهله في أيامنا هذه إلى حد بعيد، وفى الوقت الذي نواجه فيه آثار التلوث والإسراف في استخدام موارد الطبيعة والتصحر وشح الماء في بعض الأماكن في العالم مع المعاناة من الفيضانات والعواصف في غيرها من الأماكن ربما يكون من الملائم بالنسبة لنا جميعاً: مسلمين ونصارى ويهودًا وهندوسًا وبوذيين وملاحدةً أن نأخذ ورقة من كتاب محمد [صلى الله عليه وسلم]ونواجه الأزمة البيئية الحاليّة بجِدٍّ وحكمة" [78].

[78] – نقلاً من موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن

ولكم نتمنى أن يصل أبناء جلدتنا إلى ما توصلت له هذه الكاتبة النصرانية حول الأخلاق البيئية في الإسلام وعناية الإسلام بالبيئة، ويدركوا شمول الإسلام وكماله.

الخاتمة

لعله في هذه الورقات البسيطة تبينت لنا أهمية البيئة، وأهمية الأخلاق في الحفاظ عليها.

وقد أوجز ما سبق في البحث بالنتائج والتوصيات التالية:

أولًا: النتائج:

1. البيئة من أعظم نعم الله على الإنسان، خلقها الله صالحة لتحقيق النفع والخير له.
2. الإنسان المتحرر والمعرِض عن هدي ربه سبب فساد البيئة في كل جوانبها.
3. القيمة الخلقية خير دافع للحفاظ على البيئة، فهي القانون الذي لا يغيب رقيبه.
4. الإسلام شريعة حضارية، جاء بالعديد من الأحكام الفقهية والخلقية للحفاظ على البيئة.
5. التربية على الأخلاق الإسلامية خير منشئ للإنسان المحترم لبيئته الساعي للحفاظ عليها.

ثانيًا: التوصيات:

1. من الواجب على المؤسسات التربوية (البيت والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام) أن تستنفر قواها وتبذل جهدها لترسيخ الأخلاق الإسلامية في نفوس الناشئة، حتى تبني المسلم المؤمن الكامل، السليم عقيدة والسوي سلوكاً والحسن خلقاً.
2. كما يستدعي من الدولة أن تتخذ كل التدابير لتعزيز القيمة الخلقية الإسلامية في الحفاظ على البيئة.
3. تقرير مناهج دراسية تتحدث عن الأخلاق البيئية، وتُقدَّم بصبغتها الدينية لتكون أقبل إلى نفوس الطلبة، وأوثق في ربطهم بدينهم.
4. تكريس خطبٍ جمعية ودروس دينية للحديث عن الجانب البيئي في الشريعة الإسلامية، وتبيين الآيات القرآنية، والسنة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف في الحفاظ على البيئة.
5. إنشاء مراكز ثقافية وعلمية، تقوم بإعداد المحاضرات والندوات والدراسات حول دور الأخلاق في الحفاظ على البيئة، وتبين الأخلاق الإسلامية في ذلك.
6. إنشاء قنوات إعلامية، أو برامج تلفزيونية، ولا سيما ما يخاطب الناشئة، وتأسيس مواقع إلكترونية، وصحف ومجلات بيئية، تتحدث عن الأخلاق الإسلامية البيئية.

http://quran-m.com/quran/article/2188/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-(%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85)-%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%81%D8%A7%D8%B8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D8%A9

7. إقامة الدولة ورش عمل أخلاقية بيئية، وتقديم مشاريع واستقدام تجارب في ترسيخ الأخلاق البيئية.

هذا، وأسأل الله تعالى أن يكون البحث قدم لقارئه فائدة ينتفع بها في دينه ودنياه، والله الموفق للصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

القرآن الكريم

ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، 1421هـ-2001م، *مسند الإمام أحمد ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون*، 45 مجلدا، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.

ابن قدامة، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ، 1388هـ-1968م، *المغني*، 10 مجلدات، القاهرة، مصر، مكتبة القاهرة .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، 1420هـ-1999م، *تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة*، الطبعة الثانية، 8مجلدات، دار طيبة للنشر.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، بدون تاريخ، *سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي*، مجلدان، القاهرة، مصر، دار إحياء الكتب العربية .

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، بدون تاريخ، *تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق*، مجلد واحد، مكتبة الثقافة الدينية .

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور،1414هـ، *لسان العرب*، الطبعة الأولى، 15 مجلد، بيروت، لبنان، دار صادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، (بدون تاريخ)، *سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد*، 4 مجلدات، صيدان لبنان، دار الكتب العصرية.

أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، 1404هـ-1984م، *مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد*، 13 مجلد، دمشق، سوريا، دار المأمون للتراث.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، 1422هـ، *صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي*، الطبعة الأولى، 9 مجلدات، القاهرة، مصر، دار الفجر للتراث.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، 1998م، *سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف*، 6مجلدات، القاهرة، مصر، دار الفجر للتراث.

الحمد، رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، مجلد واحد، 1979م، *البيئة ومشكلاتها*، الكويت، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، 1403هـ-1983م، *التعريفات*، مجلد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 1420هـ-2000م، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق*، الطبعة الأولى، مجلد، بيروت، لبنان.

الضاهر، عدنان صادق الضاهر، مجلد واحد، 2009، *أحكام البيئة في الفقه الإسلامي*، غزة، فلسطين.

العظيم آبادي، محمد أشرف العظيم آبادي،1415هـ، *عون المعبود شرح سنن أبي داود*، 14 مجلد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، 1406- 1986م، *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، 7 مجلدات، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، 1392هـ، *شرح صحيح مسلم*، 18 مجلدا، بيروت، لبنان، إحياء دار التراث.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الخامسة، 1999م، *الأخلاق الإسلامية وأسسها*، مجلد واحد، دمشق، سوريا، دار القلم.

قاضي، فائزة قاضي وسميرة فلاح ، 2004، *دور المدرسة في المحافظة على البيئة*، مجلد واحد، الجزائر، الجزائر، وزارة التعليم العالي .

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بدون تاريخ، *صحيح مسلم*، *ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي*، 5 مجلدات، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

"The Impact of Ethics on Preserving the Environment"

Summary

Environment is the gift of Almighty Allah to his servants, and preserving its purity and integrity is a religious and human duty, and in light of the environmental corruption that has increased in recent times, those interested seek to find ways to preserve it.

Nothing helps preserve it apart from the faith and ethical values that Islam brought about which has relevance to the environment.

In this research, we shed light on the importance of the environment, Islam's concern for it, and the Islamic moral values that call for preserving the environment and its impact on it, and the role of educational institutions in establishing it.

Key words : Environment - Ethics - Values - Conservation - Faith